

## وراء البحار

تأليف محمد أمين حسونه

بقلم محمود عزت موسى

أتيج لي منذ أيام أن أقرأ الكتاب الذي ألفه وأصدره أخيراً صديق الأستاذ محمد أمين حسونه وأسماء « وراء البحار » ؛ وفي هذا الكتاب رحلة المؤلف إلى اليونان وتركيا ورومانيا والنمسا والمجر ، وقد عني بطبعه عناية فائقة ف جاء مثلاً يديماً للذوق الرقيق . وليست هذه هي المرة الأولى التي أتيج لي فيها أن أقرأ للأستاذ حسونه ، فأنا أقرأ له منذ صدر حياتي الأدبية ، وقد التقت أفلاننا على صفحات السياسة الأسبوعية في عام ١٩٢٩ وفي ذلك الحين أيضاً التقت صدقاتنا ؛ ولقد قرأت له كتابه الأول « أشبال الثورة » ، وهي الرواية التي استهل بها أدبه القصصي ، ثم قرأت له « الورد الأبيض » ، وهي المجموعة القصصية التي جعلته في طليعة أدباء الشباب ، ولعلني استطعت من خلال تلك الاقراءات كلها أن أتعرف إلى أسلوبه وأدبه ، ومن أجل هذا كنت أود أن أنصف الأستاذ حسونه أكثر مما أنصف نفسه هو فأقول بأن كتابه « وراء البحار » ليس في الواقع إلا قصة طويلة للحياة شاعراً في خلال رحلة فنية إلى بلاد تأقت نفسه إليها .. واستقرت عواطفه في أجل بقاعها ، فراح يصفها لابنة المسافر ، ولكن بلغة الشاعر ، فلم يذهب فيما ذهب إليه الذين سبقوه في وصف رحلاتهم ، ولكنه اتحنى لنفسه منحى غير الذي ألفه الناس فيما قرأوا .. فلم يحاول أن يكتب عما شغل غيره من كتاب الرحلات في الأوصاف التي يمكن للانسان أن يجدها بسهولة في كتب السياحات ، ولكنه ذهب إلى تلك البلاد حاملاً بين جنبه تلك النفس الطامحة المضطربة شاباً ونشاطاً ، فتبدو في بعض الصفحات مشوبة حارة ملهبة تفيض خيالاً وعذوبة ، والتي تنزوها الآلام والأحزان فتبدو في انقباضة القاق الحائر . وإنه ليحلو لي أن أسف نفسيه الكتاب ، ولا أتناول فصوله فصلاً فصلاً تناول الذي يمك مبطنه ليقم نفسه جراحاً - أوجزاراً - على عمل أدبي ، يحلو لي أن أسف نفسيه الكتاب لأنني أعتقد بأنني قد ألفت فيه وحدة فنية قائمة بذاتها ، تركز على شخصية واحدة ، هي شخصية المؤلف ؛ وهذه الوحدة الفنية تجملني أرى

أن المؤلف إنما عمد إلى رحلته بدافع الاستمتاع الذهني والقلبي في وقت واحد ، فوقن . ولم تذهب هذه الشخصية عنه في أية لحظة ، بل هو يصفها بدافع الإعجاب ، ولكن بشخصية ، أو بمعنى آخر بقومية ، ومن هنا ترتق مكانة الكتاب عندي ، لأنه يقول في مرض حديثه عن الأكرابول . . . « ولكن أين ربوات الأكرابول من ساحل طيبة الخالد على مر الدهور ، أو من هابة الأهرام ومعابد الكرنك وقصور فيلي ؟ تلك الكاتدرائيات الفرعونية المظيمة التي شيدها وقلت جلاييدها الصخرية المائلة الأيدي السحرية العجيبة . . . » أو عند ما يذكر « أذكر أني قابلت في أحد المطاعم ( في أينا ) جندياً في الجيش كاد يبكي وهو يتحدثني بالعربية في السعادة التي تنعم في اعطافها يوم أن كان يعمل « جرسونا » بمقاهي القاهرة الكبرى . . . » « ويستطرد في القول « . . . وأحسب أنه نتيجة عطف أولته مصر لأبناء هذه البلاد منذ انبثق فجر التاريخ . فقد يما لفهم المصريون أسرار الحكمة وأصول التشريع وزودهم بأسلحة من العلم واستقامة الفهم ، فذاناؤس وككرلس وفيشاغورس شهب ناقية في سماء الثقافة الأخريقية ، لكنهم لم يزيدوا على أن يكونوا مصريين .. » وكما يبدو في حديثه عن الاسلام وسلطين آل عثمان في خلال وصفه لاستامبول ، وهذه الظاهرة الفريدة في الكتاب تجملني أسجلها مفتبطاً

قد كنت أوتر أن يتحدثنا - فوق ذلك - الأستاذ حسونه عن تلك البقاع التي زارها أحاديث تتناول صميم الحياة هنالك ، عن وسائل رقيهم ، وصناعاتهم ، ونظم الجمعيات الهامة فيها ، والروح الفردية في تلك الأمم ، ونواحي الضعف في جماعاتهم ، وأسبابها ، والظواهر التي يلحها في أنظمتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وان يتناول بالبحث الانقلاب الكمال من جذوره في زيارته لتركيا ليصف ويقرر الحقائق التي لا يمكن للقارى أن يجدها في الصحف لاعتبارات شتى ، وأحسب أنه قد لمح الى ذلك تليحاً خفيفاً فهل فصل ذلك عن عمد ؟ أحسب ذلك . ولكنني أرجو أن يوفق الى ذلك في كتابه المقبل ، في صراحة تامة ؛ فبلادنا في عصر نهضة ، ولنكن حطب هذه النهضة ، وكلما زدناها ناراً ازدادت اشتتالاً ونوراً وارتفاعاً ، ولن يكون ذلك إلا إذا أفرغنا في سبيلها الجهد كل الجهد وعيننا بتوضيح كل ما يفيد هذه النهضة ويوطد دعائمها نأ محمود عزت موسى